جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
معهد اللغات الشرقية
شعبة اللغة العبرية

أعمال حيوج النحوية
دراسة تأصيلية مقارنة في ضوء النحو العربي

The grammatical works of huyyuj a fundamental comparative study on the light of Arabic grammar

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الباحثة

وفاء محمود عبد الجليل محمود الشناوي

تحت إشراف

أ . د / محمد بحر عبد المجيد	**د / محمود أحمد حسن المراغي**
أستاذ اللغة العبرية وآدابها	أستاذ اللغة العبرية وآدابها المساعد
كلية الأداب – جامعة عين شمس	كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ - ج
تمهيد	١ - ٢٦

الباب الأول (كتاب الأفعال ذوات حروف اللين في ضوء النحو العربي)

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول: الأفعال التى فاؤها حرف لين	٢٨ ـ ٨٠
الفصل الثاني : الأفعال التى عينها حرف لين	٨١ ـ ١٢٤
الفصل الثالث : الأفعال التى لامها حرف لين	١٢٥ـ ١٧٣

الباب الثاني (كتاب الأفعال ذوات المثلين في ضوء النحو العربي)

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول : الأفعال ذوات المثلين بين العبرية والعربية	١٧٥ ـ ١٨٣
الفصل الثانى : جملة الأفعال ذوات المثلين الموجودة في المقرا	١٨٤ ـ ٢٢٨
الخاتمة وأهم النتائج	٢٢٩ـ٢٣٠
ثبت المصادر والمراجع	٢٣١ـ ٢٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تحت ظل راية التسامح الإسلامي عاش اليهود عيشة طيبة ، وتمتعوا بحقوقهم المدنية والدينية كاملة دون نقصان ، ولقى اليهود من المسلمين كل المودة والعطف والحماية وقت أن لقوا الاضطهاد والتشريد والتنكيل من شعوب أوربا المسيحية في العصور الوسطى وأعطى لهم حكم الإسلام حق المشاركة في العمل ، وحق الكسب وجمع الثروة وتولي وظائف الدولة . فعملوا في حرية وكسبوا مكاسب لا حدود لها وجمعوا ثروات طائلة وتولوا مناصب هامة في الدولة ووصلوا إلى الوزارة نفسها وشاركوا في التعلم على يد أساتذة المسلمين فخرج منهم علماء في الطب والفلسفة والفقه والتشريع وعلوم اللغة والأدب والشعر .

وفي بحثنا هذا سنقدم الدليل على ذلك من خلال عرضنا لكتابين من كتب النحو العبري لرائد من رواد النحو العبري والذي أطلق عليه علماء اللغة اللاحقون لقب (أول النحاة العبريين) وهو يحيي بن داود الفاسي المعروف بـ (حيوج) ، الذي عاش في القرن العاشر الميلادي في الأندلس الإسلامية فنعم بالأمان والأمن والاستقرار في ظل الحضارة الإسلامية ، فاستنشق عبق الحضارة الإسلامية الخلابة الرحبة التى تتسع للجميع ، فكتب مؤلفاته في النحو العبري باللغة العربية ، وانتهج نهج أساتذته من اللغويين العرب ، واتخذ من أعمالهم نموذجا ، فتوصل لحل مشكلة الجذور في العبرية من خلال التوصل إلى فكرة الجذر الثلاثي للفعل ، تلك الفكرة التى طبقها النحاة العرب منذ القرن الثامن منذ أيام الخليل بن أحمد وسيبويه .

وتشير المصادر إلى أن أعمال حيوج وغيره من النحاة اليهود الذين عاشوا في الأندلس في تلك الفترة ومنهم مروان بن جناح – إمام النحاة العبريين – وشموئيل هناجيد وكانت أغلب أعمالهم قد كتبت باللغة العربية اليهودية ثم تم ترجمة هذه الأعمال إلى العبرية بداية من القرن الثاني عشر وساهم إبراهيم بن عزرا وموسى بن عزرا في هذه الترجمات عزرا وكانت هذه الأعمال سببا في نشأة علم المعاجم

في الغرب وماهي في الأصل إلا مجرد محاكاة ونقل لما درسوه وتعلموه على أيدي النحاة العرب في العصر الوسيط .

وقد وقع اختياري على (حيوج) ومؤلفاته لتكون موضوعا لهذه الدراسة لاعتبارات كثيرة أولها وأهمها هو أن أستاذي الدكتور : محمد بحر عبد المجيد هو من أشار عليّ باختيار أحد النحاة اليهود الذين عاشوا في الأندلس الإسلامية ، ودراسة مؤلفاته ومدى تأثره بالنحو العربي ، ونحاة العربية المعاصرين له ،أو السابقين عليه وقد كان فقد عثرت على كتابيّ (حيوج) النادرين كتاب الأفعال ذوات حروف اللين ،وكتاب الأفعال ذوات المثلين فكانا مجالا لدراستي . والثاني هو أن الكتابين قد كتبا باللغة العربية ، وقد انتهج (حيوج) في كتابيه نهج النحاة العرب فيبدأ كل كتاب بخطبة عصماء شأنه شأن سيبويه أو الخليل ، فنراه وقد اقتبس المنهج والأسلوب العربي في الكتابة ، ولولا استشهاداته الكثيرة من العهد القديم ما فطن القارئ إلى هوية كاتب النص .

وقد وجدت على لزاما أن أقسم هذه الدراسة إلي :

تمهيد : تناولت فيه حياة حيوج وبيئته وثقافته وأثره في النحاة اليهود الذين عاصروه أو أتوا من بعده .

ثم قسمت الدراسة إلي بابين :

الباب الأول : وتناولت فيه بالشرح والتحليل كتاب حيوج الأول الأفعال ذوات حروف اللين وعنوان هذا الباب :

(الأفعال ذوات حروف اللين في ضوء النحو العربي)

وقد قمت في هذا الباب بتأصيل أفعال حيوج ومقارنتها بمثيلاتها في العربية وقسمت هذا الباب إلي:

الفصل الأول : تناولت فيه الأفعال التي فاؤها حرف لين وهي عند حيوج :

١- أفعال معتلة الفاء بالألف .

٢- أفعال معتلة الفاء بالياء .

الفصل الثانى : وتناولت فيه الأفعال التي عينها حرف لين .

وهي الأفعال المعتلة الوسط بالواو أو بالياء .

الفصل الثالث : الأفعال التي لامها حرف لين .

وهي الأفعال المعتلة الآخر .

وهذا هو منهج حيوج نفسه في كتابه .

الباب الثاني : وتناولت فيه الكتاب الثانى الأفعال ذوات المثلين وهو بعنوان **(الأفعال ذوات المثلين في ضوء النحو العربي) .**

وقد قسمته إلى فصلين :

الفصل الأول : الأفعال ذوات المثلين بين العبرية والعربية .

الفصل الثاني : جملة الأفعال ذوات المثلين الموجوده في المقرا (العهد القديم) .

وهو نهج حيوج نفسه في كتابه .

ثم أنهيت البحث بخاتمة أوضحت فيها ما أمكنني التوصل إليه من نتائج .

وثبت بقائمة المصادر والمراجع التى استعنت بها.

وبعد ... ،

فإنني أتقدم بالشكر بداية إلى أستاذي وصاحب الفضل الأول الذي وضع بذرة هذا البحث وتعهده أكثر من عام حتى ثقلت عليه العلة وأقعده المرض ووافاته المنية قبل أن يرى ثمرة ما غرس أستاذي الجليل المغفور له الأستاذ الدكتور / محمد بحر عبد المجيد طيب الله ثراه وأسكنه مساكن الصديقين والشهداء جزاء ما بذل معي ومع كل دارسي اللغة العبرية .

كما أتوجه بالشكر إلى أستاذي الذي أكمل مسيرة الإشراف على البحث الدكتور/ محمود أحمد عبد السلام المراغي حتى وصل إلى صورته التي هو عليها الآن ،فكثيرا ما أمدني بالكتب والنصح والتوجيه والمراجعة حتى استوي البحث على سوقه ، فله مني كل الشكر والعرفان وجزاه الله عني وعن العلم خير الجزاء .

كما أتوجه بالشكر إلى أستاذي العالم الجليل علم الدراسات اللغوية الأستاذ الدكتور / عبده علي الراجحي على تفضله بقبول مناقشة هذا البحث الذي اكتمل في ظل رعايته وتوجيهاته منذ بدايته فلم يبخل علي بوقت أو جهد أو نصح أو توجيه

كما أمدني بكثير من المراجع المهمة التي كانت من الأسس التي اعتمد عليها البحث في الجانب العربي ، فله كل الشكر والتقدير وأدعو الله أن يظل مصدر عطاء للعلم وطلابه.

وأتوجه بخالص الشكر والتحية إلى علم الدراسات العبرية الوسيطة الأستاذ الدكتور / عبد الرازق أحمد قنديل الذي سد ثُغرات كبيرة كانت ستعترض البحث بما أمدني به من مراجع عبرية في غاية الأهمية للبحث ، فضلا عن توجيهاته السديدة التي أكملت صورة هذا البحث حتى النهاية ، وأشكره كذلك على تفضله بقبول مناقشة هذا البحث راجية الله سبحانه وتعالى أن يجزيه خير الجزاء .

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذة الدكتورة / سميرة عاشور رئيس قسم اللغات الشرقية على ما تبذله من أجل القسم والمنتمين إليه.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى والدي الحبيب الفاضل ووالدتي الحبيبة الفاضلة وإخوتي ، وزوجي المثالي الفاضل ،وأسرته والده ووالدته وإخوته فقد كانوا جميعا خير عون لي، وخير سند ، فجزاهم الله عنى خير الجزاء .

كما أشكر كل من أسهم أو ساعد ولو بكلمة طيبة في سبيل انجاز هذا البحث .

وعلى الله قصد السبيل ،

تمهيد

حياة حيوج وبيئته وثقافته

هو يحيي بن داود الفاسى أو " يهودا بن داود " الملقب بحيوج النحوي ، من أهل قرطبة ، يكنى " بأبي زكريا " ولد فى مدينة فاس فى المغرب في أواخر القرن العاشر وتوفى في القرن الحادي عشر فى قرطبة بالأندلس .

يشير نسب الفاسى فى اسم " أبى زكريا " إلى مكان مولده مدينة فاس فى المغرب ، ولكنه رحل بعد ذلك إلى مدينة قرطبة العريقة فى الأندلس الإسلامية وظل منتسباً إلى مكان مولده .

بيئته :

عاش " حيوج " فى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الميلادى ، وقد عاش فى قرطبة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب " بالناصر " والذى قال فيه " دوزى " المستشرق إنه أقرب إلى حكام العصر الحديث منه إلى ملوك العصور الوسطى ، وقال " ليفى بروفنسال " عنه أيضا :

" إن عبد الرحمن الناصر يعتبر دون شك من أعظم ملوك أوربا كلها في كل العصور " . كما أشار إليه " أرنولد توينبي " المؤرخ واتخذه مثالاً للحاكم المستنير ، الذى يتخطى عصره بملكاته وموهبته وأخلاقه وفهمه الدقيق لمسئولية الحاكم وقدرته على القيام بمسئولياته جميعاً (١) . "

وقد عاش المجتمع اليهودى منذ عهد عبد الرحمن الثالث (٩١٢ - ٩٦١) م إلى زمن الموحدين ١١٤٠م ، ولم ينشأ فى أى من المجتمعات اليهودية الأخرى مثل هذا العدد الكبير من اليهود ممن أحرزوا مناصب مرموقة بل مراكز نفوذ فى العالم غير اليهودى (٢) .

وقد أدى ازدهار اليهود السياسي والاقتصادي إلى ظهور شخصيات يهودية كثيرة ، استطاعت أن تصل إلى مراكز الحكم الهامة ، حتى أن بعضها وصل إلى كرسي الوزارة و يأتي على رأس هؤلاء :

العلامة أبو يوسف حسداى بن اسحق بن عزرا بن شبروط اليهودى (٩١٥- ٩٧٠ م) أيام حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر " الثالث " فى قرطبة (٣) .

---

(١) judaica,v16,linguistic literature Hebrew,1962

(٢) د / حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٤ ، ص ٣٨١ ، ٣٨٢ .

(٣) د / ريموند شايندلين : اليهود فى أسبانيا المسلمة ترجمة مريم عبد الباقي ، مجلد الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ديسمبر ١٩٩٨ ، ص ٣٠١ .

(٤) د / عطية القوصى : اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ٢٠٠١ ، ص ١٣٦ .

وتشير المراجع العبرية إلى أن النهضة الثقافية لليهود واشتراكهم فى المجالات المختلفة بدأت بعد ظهور " حسداى بن شفروط " الذى ارتفع وعلا نجمه فى الأندلس فى السنوات ٩٤٠ - ٩٧٥ م تقريبا وقد وصل لمنصب وزير فى بلاط الخلفاء الأمويين (١) .

وكان لحسداى الإشراف على الخزانة العامة بعد أن حظى برعاية الناصر بسبب أفضاله الطبية والعلمية وخدماته الدبلوماسية ، ووزر له ولابنه الحكم من بعده (٢) .

ويقول عنه صاحب قصة الحضارة :

" كان حسداى بالنسبة لعبد الرحمن الثالث ما كانه نظام الملك فى القرن التالي لملك شاه . على أنه لم يكن له لقب رسمى لأن الخليفة تردد فى منحه رسمياً لقب وزير خشية أن يثير عليه النفوس ولكن حسداى قام بمهام منصبه الكثيرة بكياسة أكسبته محبة العرب ، واليهود ، والمسيحيين على السواء ، وقد شجع العلوم والآداب ، ومنح الطلاب الهبات المالية والكتب بلا ثمن ، وجمع حوله ندوة من الشعراء ،والعلماء ، والفلاسفة فلما مات تنافس المسلمون واليهود فى تكريم ذكراه (٣) . "

ويصف ابن ساسون حسداى فيقول :

" أنشأ أول مدرسة دينية فى أسبانيا (الأندلس) وقد دعا إليها علماء اليهود ومفكريهم من خارج أسبانيا (الأندلس) وكان لهذه المدرسة مركز الصدارة بين مراكز الفكر الدينى اليهودى . وبالرغم من ذلك كان لدى حسداى أبهة الوزير والحاكم فى البلاط الإسلامي وظهر ذلك فى موقفه من النحوى" مناحم بن سروق " الذى سجنه وحبسه بمفرده عندما غضب عليه (٤) . "

"وكان ابن شفروط مولعاً باقتناء الكتب فى مختلف العلوم والفنون وكان يتنافس مع أغنياء المسلمين فى اقتناء الكتب وأنشأ مدرسة للدراسات اليهودية وكان سخياً فى الإغداق على أساتذة هذه المدرسة ولقد لقبه يهود المشرق والمغرب " ريش كلاه " بمعنى " رأس العرش " ووفد إليه أدباء اليهود وشعراؤهم من جميع أنحاء الأندلس والشرق يمدحونه (٥) . "

---

(١) בן שושן : תולדות עם ישראל בימי הביניים דביר תל אביב ١٩٦٩ ، ص ٧٣ .

(٢) عطية القوصى ، مرجع سابق ص ١٣٦ .

(٣) ويل يورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران ج ١٤ دار الجليل بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، ص ٥١ .

(٤) בן שושן : مرجع سابق ص ٧٣ .

(٥) د / محمد بحر عبد المجيد :اليهود فى الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤ .

ومن الشخصيات اليهودية البارزة التى اتصلت بحسداى وخدمت فى بلاطه :

١. مناحم بن سروق " מנחם בן סארוק "

تمتع لفترة بعطف حسداى وتشجيعه فأنتج إنتاجه الفكرى الذى هيأ له مكاناً رفيعاً فى تاريخ الفكر اليهودى (١) .

وكان مناحم من أحسن شعراء اليهود فى عصره فقد كان على حد تعبيره " يربك كل فصيح ويلجم كل شاعر (٢)."

" كما كان لمناحم عمل فى الناحية اللغوية وهو وضع معجما عبريا يسمى " מחברת " أى الكراسة ويعتبر هذا المعجم أول عمل لغوى فى العبرية شمل الناحية اللغوية الكاملة للكتاب المقدس (٣) ."

" كان هذا المعجم " מחברת " " الكراسة " بمثابة أول معجم عبري مرتب وهو أول محاولة لترتيب ألفاظ العهد القديم وفقاً للجذور ومدلولاتها . ويحدد مناحم فى هذا المعجم إحدى عشرة طريقة يسميها درجة (מעלות) يتم من خلالها اشتقاق الكلمات ومما أورده فى معجمه الأسباب التى أدت لتحول العبرية من لغة مقرائية إلى لغة الحكماء . ويذكر أن هناك كلمات لها جذور أحادية و كلمات قد يصل جذرها لخمسة أصول كما أن هناك كلمات بدون جذور ، وتطرق فى قاموسه كذلك لجوانب صوتية فذكر بعض صفات لأصوات الحلق وأهمية الشدة الثقيلة وتحدث عن الصوائت وعن النبر وتناول الأسماء المشتقة وتناول الأدوات وخصوصاً أدوات النسب وعلاقتها الدلالية بالمصادر(٤) ."

وتشير دائرة المعارف اليهودية إلى أن مناحم من أبرز من كتبوا فى قواعد العبرية من يهود الأندلس فقد كتب بالعبرية أول معجم كامل يضم إلى جانب عبرية العهد القديم آرامية سفرى دانيال وعزرا فى معجمه " מחברת " الكراسة وهذا المؤلف كان من المؤلفات سهلة الوصول إلى علماء فرنسا وألمانيا اليهود فى فترة التفكيك فكان سببا فى قيام دراسة مستفيضة هناك فى الناحية اللغوية (٥) .

---

(١) د / إبراهيم موسى هنداوى : الأثر العربى فى الفكر اليهودى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة الشبكشى ، بالأزهر ، مصر ١٩٦٣ ، ص ١٠ .

(٢) د / محمد بحر عبد المجيد : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٣) د / إبراهيم موسى هنداوى : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٤) د / سيد سليمان عليان : دروس فى النحو العبري كلية الآداب ، عين شمس ٢٠٠٢ ، ص ٦ .

(5) Judaica, V 16, linguistic literature Hebrew.

" وقد ساهم هذا المعجم فى تحديد الأصول، وترتيبها كما ساهم فى وضع نظرية اشتقاق الأسماء من الأفعال (١) . "

" وقد أعطى مناحم فى معجمه قائمة بالكلمات ذوات الأصل الواحد وأخرى بالكلمات ذوات الأصلين وقد تحدث مناحم عن حروف الهجاء التى تأتي أصلية وزائدة وقد فشل فى التعرف على بعض الجذور فرتب كثيراً من الكلمات بحسب صورتها الخارجية (٢) ."

" قسم مناحم بن سروق الجذور العبرية إلى جذور أحادية الأصل وجذور ثنائية الأصل وجذور ثلاثية الأصل أو أكثر ، ومعياره فى تحديد الأصول فى حروف الجذر هو استمرار الحرف ، وحفاظه على وجوده ، فى كافة التصاريف الواردة فى نصوص العهد القديم ، أما الحرف الذى يختفى أحياناً ، أو يتغير إلى حرف آخر تبعاً للتغييرات الطارئة على الوزن أو التصريف ، فلا يدخل فى تشكيل الكلمة ، وبيان معناها ، وفصاحتها ، ومن أمثلته على ذلك ، كلمات نحو : **יגון תוגה נוגות** فالحرف الأصلي فى هذه الكلمات الثلاث هو الجيم (גימל) لأنه الحرف الوحيد الذى لم يطرأ عليه ثمة تغيير فى كل صيغ هذا الجذر(٣). "

استعمل مناحم العبرية فى تأليفه لهذا المعجم على النقيض من معاصره دوناش بن لبرط الذى كان يستعمل العربية فى مؤلفاته . وقد تتلمذ حيوج على مناحم بن سروق ونهل الكثير من علمه و لكنه سيختلف معه فى بعض آرائه كما سنرى بعد ذلك .

٢. دوناش بن لبرط " דונש בן לברט "

ولد دوناش بمدينة فاس بالمغرب فى الثلث الأول من القرن العاشر ، وسافر إلى العراق لتلقى علومه فى أكاديمية سورا ، ثم شد الرحال بعد ذلك إلى الأندلس للانضمام إلى حاشية اليهودى الغنى (حسداى) بقرطبة (٤).

دوناش بن لبرط ، اسمه الحقيقي " أدونيم هليفى " ولد فى فاس بالمغرب وتتلمذ على يد رابي سعاديا جاءون فى بغداد ثم انتقل منها الي قرطبة بعد ذلك وقد عاش كل من دوناش ومنافسه مناحم بن سروق فى كنف الوزير اليهودى حسداى بن شفروط

---

(١) د / عبد الله رمزى : المصطلح الصوتى فى العبرية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، ١٩٩٥ ، ص ٨٨.

(٢) د / أحمد مختار عمر : البحث اللغوى عند العرب مع دراسة لقضية التأثير و التأثر ، الطبعة السادسة ١٩٨٨ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص ٧١ ، ٧٢ .

(٣) د / عبد الله رمزى : مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٤) د / محمد بحر عبد المجيد : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

وقد اشتهر دوناش بمساجلاته مع مناحم بن سروق وتلاميذه ، اسحق بن جيقاطيلا ، اسحق بن قفرون ، ويهودا بن داود حيوج " والتى بدأها دوناش بنقد لاذع لكتاب " **מחברת** " " الكراسة " الذى ألفه مناحم وقد صّدر دوناش هذا النقد بقصيدة مدح وجهها إلى حسداى بن شفروط (١) .

وذكرت دائرة المعارف اليهودية أن دوناش كتب مائة وستين نقداً ضد مناحم مما حفز تلاميذ مناحم للرد على هذه الانتقادات والدفاع عن أستاذهم . وهذا الرد حفز أيضاً تلاميذ دوناش للرد عليهم والدفاع عن أستاذهم أيضا . فكان كل فريق يناصر أستاذه ويدافع عنه فى أسلوب جدلي علمي كان له أثر كبير فى تقدم و دراسة النحو واللغة العبرية (٢) .

فقد ثار تلاميذ مناحم بن سروق " اسحق بن قفرون " الشاعر ، واسحق بن جيقاطيلا " الحاخام والشاعر والمفسر الدينى " ، ويهودا بن داود حيوج " عالم لغة " من أجل أستاذهم وهبوا للدفاع عنه والرد على دوناش فى كتابه " **תשובות** " الرد " ونقده اللاذع لأستاذهم ونقدوه فى كتاب يسمى " رد على الرد " وهذا الكتاب مقدم بمقدمة شعرية لنقد دوناش على إدخاله البحور العربية فى الشعر العبرى ، وخصص قسم فى الكتاب لتأييد أقوال مناحم وحججه . ومن تلاميذ دوناش نجد يهودا بن شيشت الذى كتب رداً على الرد باسم تلاميذ دوناش للرد على تلاميذ مناحم فى أسلوب هجائى شعرى (٣) .

" و دوناش هو أول من أدخل البحور العربية إلى الشعر العبرى . الذى أعجب بجمال الشعر العربى الكلاسيكى فأدخل نظام التفعيلة ورغم الهجوم الذى شن عليه فى البداية لكن ما لبث الكثير من الشعراء أن أعجبوا به ونسجوا شعرهم على منواله فنرى إسحاق بن قفرون ، ويهودا بن شيشت يقدمان لأصدقائهم قصائد افتتاحية لشرح أوزان هذا الشعر الجميل وهذا النموذج الشعرى الثرى ونظراً لكونهما من الشعراء الموهوبين فقد كان لهما تأثير كبير على غيرهم من الشعراء المعاصرين لهم و ظهر الكثير من القصائد على طريقة الوزن الجديدة " التفعيلة الشعرية الجديدة " التى نادى بها دوناش بن لبرط (٤) . "

وعلى الرغم من أن المقالات الجدلية التى نشأت بين تلاميذ مناحم وتلاميذ دوناش لم تنتج مادة جديدة زيادة على ما وصل إليه مناحم ، ودوناش ، ولم تكن سوى وجهات نظر

---

(١) د / ليلي أبو المجد : مقالة بعنوان دراسة مقارنة بين منهج الخليل ابن أحمد و دوناش بن لبرط فى العروض و القافية ، مجلة رسالة المشرق ، المجلد العاشر ، الأعداد من ١ : ٤ ، مركز الدراسات الشرقية ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ١١٠ .

(2) Judiaca . vol , 16, linguistic literature, Hebrew

(٣) إبراهيم موسى هنداوى : مرجع سابق ، ص ١١ .

(٤) חיימשירמן : תולדות השירה העברית בספרד המוסלמית האוניברסיטה העברית ירושלים מכון בן צבי מחקר קהילות ישרל במזרח ص ١٤٠

لجماعات وأفراد فإن هذا العمل قد خدم اللغة والنحو العبرى فى شرح قواعد النحو العبرى (١).

ويقول د/ أحمد شحلان * عن هذه الخصومات اللغوية التى دارت بين دوناش و مناحم : " من المؤكد أن الخصومات اللغوية العبرية فى الأندلس كانت هى أسباب نهضة فكر اليهود بصفة عامة ذلك أن رؤساء المذاهب اللغوية العبرية فى خصوماتهم احتموا برجال السياسة والسلطة من اليهود ، فأستغل هؤلاء الفرصة ، فقلدوا مخدوميهم من رجال السلطة فى الدولة الإسلامية ، وشجعوا أولئك وغيرهم من أعلام اليهود الذين تشربوا الثقافة العربية الإسلامية ليفتحوا أبواباً جديدة لم يكن للفكر العبرى علم بها ، فصنعوا ما عرف فيما بعد بعصر الفكر اليهودى الذهبى ، تقليداً وتأليفاً وترجمة ، من وإلى الثقافتين ، بل وإلى الفكر اللاتيني وهم بهذا قدموا أنموذجاً راقيا للتفاعل اللغوى ، ولقدرة الفكر والثقافة العربية على التأثير المثمر الجميل (٢) ."

وأكد موسى بن عزرا فى كتابه " المحاضرة والمذاكرة " هذا التأثير العربى والثقافة العربية على نهضة الأدب واللغة العبرية فيقول :

" ولما استفتحت العرب جزيرة الأندلس المذكورة على القوط ، الغالبين على الرومانيين أصحابها بنحو ثلاثمائة سنة قبل فتح العرب لها الذى كان على عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان من ملوك أمية من الشام سنة اثنين وتسعين لدعوتهم ، المسماه عندهم بالهجرة ، تفهمت جاليتنا بها بعد مدة أغراضهم . ولقنت بعد لأي لسانهم ، وتبرعت فى لغتهم ، وتفطنت لدقة مراميهم و تمرنت فى حقيقة تصاريفهم . وأشرقت على عذوبة أشعارهم حتى كشف الله اليهم من سر اللغة العبرانية ونحوها ، واللين والانقلاب والحركة والسكون ، والبدل والإدغام ، وغير ذلك من الوجوه النحوية ، مما قام عليه برهان الحق وعضده سلطان الصدق ، على يدى أبى زكريا يحيي بن داود الفاسى المنبوذ بحيوج وشيعته رحمهم الله ما قبلته العقول بسرعة ، وفهمت منه ما جهلت قبل ، وتحركت أيضاً همم قليل منهم لطلب العلوم النظرية واكتساب المعارف العقلية . ولم تقوى عارضتهم فى المقال وتدربوا فى صناعة الشعر . وتفطنوا لحلاوته ، واستيقظوا لنوادره إلا فى بعض المائة السابعة بعد أربعة آلاف للخليقة . وهو أول ظهور لأبى يوسف حسداى بن اسحق بن شفروط الجيانى

---

(١) إبراهيم موسى هنداوى : مرجع سابق ، ص ١١ .

* أستاذ الأدب العبري الوسيط بجامعة المغرب .

(٢) مركز دراسات الأندلس و حوار الحضارات ، موقع إليكترونى
http://www.andalusite.ma/arabe/solloque1/colloque1-ac-html

القدمة ، القرطبي الرياسة ر ال ع (رضى الله عنه) فحينئذ ثابت الهمم من غفلتها ، واستيقظت الفطن من نومتها ، بما ظهر من سيرة هذا الريس الجليل الشريفة وهمته العالية وسمو نفسه الفاضلة . وشرف طبيعته المعتدلة ، كأنه استحلب عيون العلوم من الشرق وفصوص المعارف من كل أفق سحيق فقامت به رواة العلم على ساق . وجنى الناس عن الشام والعراق فتنافس أولياء النباهة فى أيامه باشهار ما أودع الله عندهم من العلم ووهبهم من المعرفة فحبروا لهم التواليف العالية ولفقوا الجوامع السامية وهزوا عطفه بالأشعار العجيبة والخطب الفصيحة العربية ، فسمت عندهم منازلهم ، وأنالهم غاية مطلوبهم ونهاية ماربهم (١) ."

فقد أشار موسى بن عزرا فى الفقرات السابقة إلى قدرة اللغة العربية على فرض سيطرتها وانتشارها وما تميزت به وكيف كانت العبرية فى تلك الفترة تغفو فى سباتها الطويل محصورة بين النصوص الدينية فقط ، فاستيقظت على سحر الثقافة الجديدة والحضارة الثرية التى يفوح عطرها ليستنشقه الجميع ونلاحظ في أسلوب موسى عدم اتقانه الكامل لنحو اللغة العربية فلم يجزم المضارع بعد لم الجازمة في قوله لم تقوى والصحيح لم تقو ، كما أنه لا ينطق الهمزة فقال الريس بدلا من الرئيس وماربهم بدلا من مأربهم ، كما نراه وقد استخدم التقويم اليهودي في قوله أربعة آلاف للخليقة ، وهذا كان شأن أغلب الكتاب اليهود الذين كتبوا باللغة العربية في تلك الفترة.

ويصف " شيرمان " حال اليهود مع تلك الحضارة العربية الجديدة فيقول :

لم يكن الدافع الدينى هو المسيطر على المثقفين اليهود وأجبرهم على الاندماج فى الحضارة العربية بشكل عام وحتى ولو كان لديهم النية لرفضها فقد اعترفوا بها بل والتحموا داخلها فكتبوا مقالاتهم فى المجالات المختلفة باللغة العربية وألفوا فى جميع المجالات باللغة العربية وقد سيطر اللسان العربى عليهم منذ القرن التاسع فقدموا دراستهم عن اللغة العبرية باللغة العربية (٢) .

فقد كانت اللغة العبرية زمن الفتح الإسلامي للأندلس لغة مهملة وكانت قاصرة على الترانيم والطقوس التى يؤديها اليهود فى معابدهم ولا يفهمونها ، وكما أشار ابن عزرا فى الفقرات السابقة – أنه لم يظهر اهتمام اليهود باللغة العبرية إلا بعد اختلاطهم بالمسلمين فتعلموا اللغة العربية ، وقواعدها ، وآدابها شعراً ، ونثراً، فحاولوا تقليد ذلك كما

---

(١) موسى بن عزرا : المحاضرة و المذوكرة ، نقله من الخط العبرى إلي الخط العربى ، د / عبد الرازق قنديل ، مركز الدراسات الشرقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠١ م ، ص٥٩ ، ٦٠ .

(٢) שירמן : مرجع سابق ، ص ١٩ .

رأوا كيف يخدم المسلمون لغتهم المقدسة لأنها لغة كتابهم المنزل " القرآن الكريم " فقرروا هم أيضاً خدمة لغة كتابهم المقدس " **לשון הקודש** " اللغة المقدسة وأطلقوا على العهد القديم فى العصر الوسيط لفظه " قرآن " تشبيهاً بقرآن المسلمين – تنزه القرآن عن التشبيه – وكان طريقهم إلى ذلك عن طريق وضع قواعد للغتهم على طريقة المسلمين.

وتشير دائرة المعارف اليهودية أن أولى المحاولات التى قاموا بها للاهتمام باللغة العبرية كانت فى القرن العاشر وهذا يخالف ما ذكره " شيرمان " وبعض المراجع الأخرى التى تشير إلى أن عصر النهضة الفكرية لدى اليهود ظهر في القرن التاسع في الشرق الإسلامي زمن الخلافة العباسية وتطور بشكل كبير في القرن العاشر والحادي عشر.

كتبت أغلب المحاولات التى قام اليهود بها للاهتمام بلغتهم باللغة العربية فى شرق وشمال أفريقيا وهى تتمثل فى أجرون سعديا جاءون وهى أول محاولة لتصنيف معجم فى اللغة العبرية بينما كتاب اللغة هو أول كتاب فى النحو العبرى ، وفى الربع الثاني من القرن العاشر كتب يهوذا بن قوريش كتاب " الرسالة " وهى من أولى محاولات المقارنة السامية بين عبرية العهد القديم والسريانية والعربية . وفى منتصف القرن العاشر كتب داود بن أبراهام الفاسى أول قاموس مقارن بين العبرية والسريانية والعربية (١)

ورغم كل تلك المحاولات تشير المصادر إلى أن الدراسات النحوية واللغوية للغة العبرية لم تنهض وتزدهر إلا على أيدي يهود الأندلس وأول عالم لغوى نحوى ظهر فى الأندلس هو مناحم بن سروق ثم استمر تطور النحو على يد تلميذه يهودا بن داود حيوج وتلاميذه من بعده إسماعيل بن النغريله (شموئيل هناجيد) ومروان بن جناح شيخ النحاة العبريين .

يقول إسرائيل ولفنسون :

" ازدهرت بقرطبة علوم اللغة العبرية فظهر فيها مناحم بن سروق أول من دون القاموس العبري ، ودوناش بن لبرط أول من أدخل البحور العربية فى الشعر العبرى والوزير حسداى بن شقروط ، والنحوي أبو زكريا يحيي بن داود حيوج والعالم أبو الوليد مروان بن جناح ، وكذلك زهت بها علوم الدين اليهودية . وفيها وجدت المدارس الدينية العالية التى أسسها العالم موسى بن حانوخ بمساعدة الوزير حسداى بن شفروط ، تلك

---

(1) Judaica :v16 , linguistic literature, Hebrew

المدرسة التى استغنى بها يهود الأندلس عن مدارس بغداد الشهيرة وكانت كعبة يحج إليها طلاب العلوم الدينية من اليهود من جميع الأقطار (١) ."

ويشير ولفنسون إلى مدى اندماج اليهود فى المجتمعات العربية الإسلامية فيقول :

" اليهود الذين سكنوا فى بلاد العرب لم يلبثوا أن تخلقوا بأخلاق العرب وتمسكوا بعاداتهم واتبعوا سبيلهم فى النظم والتقاليد الإجتماعية حتى أصبحوا كأن لم يكونوا من جنس أخر غير الجنس العربى (٢) .

وقد يكون فى هذا الكلام شئ من المغالاة فاليهود أميل إلى العيش فى جيتوهات منذ أقدم العصور . ولكنه أراد أن يعبر عن اندماجهم داخل النظم العربية لما تمتعت به تلك المجتمعات من تسامح وجود ، وتقبل فكرة الاندماج مع غيرها من المجتمعات . وتمثل هذا الاندماج بشكل كبير فى المجتمع الأندلسى الذى كان يضم عدة مجتمعات وعدة ثقافات مختلفة وعدة لغات أيضاً مختلفة وقد كان كلام أهل الأندلس الشائع عند الخواص والعوام كثير التحريف عما تقتضيه أوضاع اللغة العربية وهذا ما ذهب إليه صاحب نفح الطيب الذى يقول :

" والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة ، حتى أنهم فى هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدة ، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه ، وكل عالم فى أى علم لا يكون متمكناً من علم النحو – بحيث لا تحض عليه الدقائق – فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء ، مع أن كلام أهل الأندلس الشائع فى الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية ، حتى لو أن شخصا من العرب سمع كلام الشلوبينى أبى على المشار إليه بعلم النحو فى عصرنا الذى غربت تصانيفه وشرقت وهو يُقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذى فى لسانه ، والخاص منهم إذا تكلم بالإعراب وأخذ يجرى على قوانين النحو استثقلوه واستبردوه ، ولكن ذلك مراعى عندهم فى القراءات والمخاطبات بالرسائل (٣) ."

ولذا نجد الكتاب العبريين عندما كانوا يكتبون لم يستعملوا اللغة العربية القديمة عموما بل اللغة التى كانوا يتكلمونها تقريباً . وكان الكتاب ممن نالوا حظا أوفر من التعليم أكثر التزاما باللغة التقليدية كما كانوا يكيفون أسلوبهم ليقتربوا من النحو القديم (٤) .

---

(١) د / إسرائيل ولفنسون " أبو ذؤيب " : موسى بن ميمون حياته و مصنفاته ، مطبعة لجنة االتأليف و النشر ، ١٩٣٦ ، ص ٤ .

(٢) د / إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية و صدر الإسلام ، مطبعة الاعتماد لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ص ٣٥ ، ١٩١٤ .

(٣) الشيخ أحمد بن محمد المقرى التلمسانى : فى نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، المجلد الأول دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ٢٢١ ، ص ٢٢٢.

(٤) ريموند شاندلين : اليهود فى أسبانيا المسلمة ، مرجع سابق ، ٣٠٩ .